ثار الفلسطينيون بالأرض المحتلة ، ثاروا على قوى الفناء التى تتهددهم وتزحف عليهم تبغى طردهم من وطنهم ، أو محوهم من الوجود . تحدوا ومازالوا يتحدون الطغيان المسلح بغضبهم الشريف الأعزل من السلاح . لهم فى السابقين من المتحررين قدوة ممن ثاروا بغير سلاح ، فانتصروا بالصبر والمعاناة والإصرار ، وقوة الحق التى لا يُعْلَى عليها . فليكن أيضاً للإسرائيليين عظة فى الطغاة من المستعمرين الذين غرتهم قوتهم ثم انهزموا أمام قوة الحق والعدل . كم أملنا يوم عقدنا الصلح مع إسرائيل أن يكون فُرقاناً بين عهد وعهد ، بين تفكير وتفكير ، بين أسود وأبيض ، وأن يكون حجر الأساس فى صرح سلام شامل عادل يغير من حاضر المنطقة ومستقبلها. وسرعان ما انصبت علينا خيبات الأمل فى سلسلة من الاستفزازات العدوانية ، بدءًا من ضرب المفاعل الذرى العراقى ، ومرورًا بالهجوم على لبنان ، وأخيرًا بالتصدى للمناضلين العُزَّل ضرباً وقتلاً واعتقالاً ونفياً .

لقد اهتز ضمير العالم يومًا للاضطهاد الذى حاق بكم أيها الإسرائيليون ، وغَالَى فى إنصافكم بِخَلْقِ وطنٍ لكم ، وَلَكِنْ على حساب أهله الذين شُرِّدُوا فى الأرض ، وقد آذيتُم هذا الضمير العالمى بفعالكم وأصممتم آذانكم عن تلبية ندائه بالرجوع إلى شىء من الحق . كان أَوْلَى

بكم أن تلبوا نداء الحق بدون دعوة ، إلاَّ دعوة ضمائركم التى عانت الاضطهاد والظلم ، وكابدت الطغاة والظالمين . كيف تتطلعون إلى الاستعمار بعد أن تحول عنه رجاله ؟ وكيف لم توفوا بما وعدتم به بأن تكونوا أُمَّة عدل وحرية وأخلاق ؟ .

إنها مأساة بكل معنى الكلمة ، بالنسبة للواقع الدامى ، وبالنسبة للذين مَنَّوْا أنفسهم بالسلام العادل الشامل . وبرغم كل شىء فنحن لا نريد أن نفقد الأمل ، وننتظر بين ساعة وأخرى أن يعلو صوت الحق ، وأن تنتصر مشيئة الخير .

(٢١ / ١ / ١٩٨٨)

# الحـــرب

حامت أحلام صبانا وشبابنا حول الاستقلال والديمقراطية والنهضة بصفة عامة ، أمَّا الحرب فلم تخطر لنا على بال ، أو تجرى لنا فى خاطر، كأنها قَدَرٌ لايجوز علينا . من عجب بعد ذلك أننى شهدتُ وطنى يخوض حروباً متلاحقة لم يتهيأ لفرد فى جيلٍ واحد أن يشهد نظيرها فى كثرتها . شهدتُ حرب ١٩٤٨ ، و١٩٥٦ ، و١٩٦٧ ، و١٩٧٣ ، بالإضافة إلى حرب اليمن . كما كابدتُ عواقبها الوخيمة مع الملايين فيما أهلكت من أنفس وأموال ، وخربت من هياكل أساسية وزراعية وصناعية ، وفيما جَرَّتْ على المواطن من انحلالٍ وفسادٍ وتسيب ، وتحلل من التقاليد العريقة والسلوكيات الحميدة ، بل إننا مازلنا نعيش بصورة مَّا فى جو الحرب ، فمنا من يتطوع للقتال مع العراق الشقيق ، ومنا مَنْ تراوده أفكار عن الاشتراك فى حرب الخليج ، وكأنهم يرددون مع القائل : « وَدَاوِنِى بِالَّتِى كَانَتْ هِىَ الدَّاءُ» .

والحرب كريهة ، ولكن قد تُفْرَضُ علينا فرضاً فى حال الدفاع عن النفس ، فهذه حرب مقدسة ، يخوضها الإنسان حتى لو لم يكن مستعدًّا لها ، أو كُفْئًا للعدو المهاجم . وقد تقتضى ظروف مُلحة قاسية أن نخوض حربًا فى غير دفاع مباشر عن وطننا، ولكن فى تلك الحال لابد من توافر شروط ضرورية :

أولاً : أن يكون الهدف من الحرب واضحاً ، ومقنعاً للجندى والمواطن ، بحيث تهون عليهما التضحية مهما غلت .

ثانياً : أن يكون لنا جيش قوى قادر على تحقيق النصر ، وتَحَمُّلِ أهوالها حتى لو طال زمنها عَمَّا قُدِّرَ لها .

ثالثاً : أن يكون الوطن مؤهلاً للحرب من جميع النواحى الاقتصادية والنفسية والاجتماعية .

الحرب ليست فروسية ولا عاطفية ، ولكنها مسئولية تاريخية ، ومصير قد يتقرر لمئات السنين أو إلى الأبد .

(١٠ / ٣ / ١٩٨٨)

# الهوية والهدف

كثيرًا ما يتساءلون : مَنْ نحن ؟ يقولون : علينا أن نعرف هويتنا لنحدد هدفنا ، لكن الواقع هو الذى يحدد الهدف . هدفنا فى الحياة فى زمن مَّا ينبثق من واقعنا لا هويتنا ، لذلك قد تنشب حرب بين دولتين من هوية واحدة، أو يقوم تآلف بين دول من هويات متعددة . بل إن الهدف إذا اتضح واجتمعت حوله القلوب جَاَز له أن يختار الهوية المناسبة كعامل مساعد على تثبيت ذاته ، وترسيخها فى النفوس ، ونحن لنا هويات متعددة، وجميعها صادقة ، فنحن مصريون ، ونحن عرب ، ونحن من حوض البحر المتوسط ، وأخيرًا وليس آخِرًا ، فنحن ناس من صُلب آدم وحواء .

فى عام ١٩١٩ أعلنا الكفاح لتحقيق الاستقلال ، فنادى سعد زغلول بهويتنا المصرية كصيغة يمكن أن تجمعنا فى النضال . وفى الثلاثينيات اشتد تطلعنا إلى الحضارة الغربيةفأعلن طه حسين انتماءنا إلى حوض البحر المتوسط .

وفى عام ١٩٥٢ حاقت الأخطار بالأمة العربية من كل جانب ، فدعا جمال عبد الناصر إلى القومية العربية . وفى السبعينيات وجد السادات أننا غرقنا فى مأزق وَجل لا تنتشلنا منه إلاَّ مصريتنا ، فأرجعنا إليها ،

وحَرَّكَ نعرتها فى القلوب ، فكان العبور وتحرير سيناء والسلام . ولعل هدفنا اليوم هو التنمية الشاملة ، أو بذل الجهد للحاق بالعصر الحديث، وهو هدف حيوى لابديل له إلاَّ التحلل والفناء ، ويقتضى ضمن ما يقتضى الاستقرار والسلام . ولن يتهيأ لنا ذلك على أكمل وجه إلاَّ فى نطاق تكامل اقتصادى ثقافى عربى . من هنا وجب تجمع العرب فى وحدة روحية مادية راسخة ، لنستعين بتجمعنا على تحقيق السلام العادل فى شرقنا الدامى الممزق ، ثم السير الثابت بكل مافينا من أصالة إلى العصر الحديث .

(١٧ / ٣ / ١٩٨٨)

# التكريم المنسى

فى أعقاب إعلان الجائزة تلقيتُ مكالمة تليفونية خارجية من أخٍ عربى يسألنى فيها عن شعورى بعد أن كَرَّمنى العالم ولم تكرمنى أمتى !

وقد عجبت لذلك أشد العجب ، فمهما تكن البداية ـ وهى لايمكن أن تخلو من صعوبات وعوائق ـ فقد تلقيتُ بعد ذلك من التكريم ما يُرضى القلب ، وينعش الهمة ، ويعين على مواجهة الشدائد . مُنِحْتُ جميع الجوائز الأدبية ، مثل جائزة الست قوت القلوب الدمرداشية ، وجائزة المجمع اللغوى ، وجائزة وزارة المعارف ، وجائزة الدولة السابقة ، وجائزة الدولة التقديرية ، وأكثر من جائزة للسينما والتليفزيون . وأُهدىَ إلىَّ وسام الاستحقاق من الدرجة الأولى ، ووسام الجمهورية من الطبقة الأولى ، وترجمت الإذاعة المسموعة والمرئية الكثير من أعمالى ، ودعتنى للحوار لدى كل مناسبة ، وكان الاعتذار يجىء أحياناً من ناحيتى صوناً لعينىَّ الضعيفتين ، ولنفورى الطبيعى من الحياة العامة . وأهم من ذلك كله ماحظيت به من إقبال الجمهور ، حتى مع قرار المقاطعة ، واهتمام النقاد والمفكرين ، وما تجشموه من جهد فى مؤلفاتى وتحليلها ، وجاء تكريم السيد رئيس الجمهورية تتويجاً لكل تكريم سابق ( وإعفاءً إنْ شاء الله تعالى من كل تكريم لاحق ) ، ففاق بكرمه الحلم والخيال .

فكيف يُقال بعد ذلك إنَّ أُمتى لم تكرمنى ؟ . . ومن عجب أن نسيان الفضل قد يجىء من جاحدٍ ، والدنيا لاتخلو من جاحدين ، أما هذه المرة فإن النسيان يجىء من أصحاب الفضل أو مَا نِحيه ، فكيف حدث ذلك؟

وإذن فقد نلتُ من أُمتى التكريم الشامل الذى يجب أن يُذكَر مع الحمد والشكر فى كل حين .

(١ / ٩ / ١٩٨٨)

من الأحداث المبهرة للأبصار ، والمثيرة للإعجاب والإكبار ، ما أعلنته الفطرة العربية من صلابة وقوة وعزم وصبر وإيمان ، فى الحرب العراقية والثورة الفلسطينية . خاض الشعب العراقى حربًا ضروسًا طويلة جاوزت ثمانية أعوام عدًّا ، يناضل بشجاعة وإصرار ، ويقدم الشهداء فريقًا بعد فريق ، ويتعرض للصواريخ والقنابل ، فَتُخْلَى مُدُنٌ من سكانها ، وتعيش مدن تحت رحمة الموت ليلاً ونهاراً ، وتنحنى الهامات تحت وطأة طوارىء حال الحرب وما تفرضه على المواطن من التزامات وانضباطات وتقشف وتنازلات . حقًّا ، إنها لَصَلابة جديرة بكل فخر وثناء ، وذُخْر يُدَّخَرُ لمستقبلٍ باهر !

أَمَّا الثورة الفلسطينية فقد استمرت عامًا ، واستقبلت عامًا جديدًا ، لا تهن ولا تتوقف ولا تتراجع ، ولا تبالى بالوحشية والعذاب والحقد الأعمى . وقد عهدنا الثورات تحسب أعمارها بالأشهر ، ولا تتواصل المقاومة الفعالة إلاَّ إذا تهيأ لها من ظروف الطبيعة حصون كالجبال والغابات ، أما الثورة الفلسطينية فلا حصون لها تحتمى بها إلاَّ إيمانها بحقها المقدس ، وبسالتها الفائقة ، وبطولتها الخارقة النبيلة ، حقًّا إنها لَصلابة جديرة بكل فخر وثناء ، وذُخر يُدَّخَر لمستقبل باهر .

ونحن لا نحب الحروب إلاَّ أن تكون دفاعاً عن النفس ، ولا ندعو للثورات إلاَّ أن تكون تطلعًا للتحرير والحرية والكرامة ، ولكن يسعدنا ولاشك أن تكشف الحوادث فى طبيعة شعبنا العريق عن عناصر قوة لابد أن تتحول مع الموجة الصاعدة إلى البناء والتعمير ، والإبداع والحضارة فى ظل السلام العادل . ترى هل آن لليلنا الطويل أن يسفر عن فجر مضىء ؟

(٢٦ / ١ / ١٩٨٩)

# نحـو التكامل والحضارة

من إنجازاتنا القومية الرائعة الاتفاقية الاقتصادية بين مصر والأردن والعراق واليمن الشمالية ، وعندما تُحقق أهدافها سيضمها التاريخ إلى سجل انتصاراتنا التى نعتز بها ، مثل تحرير سيناء، والعودة إلى الديمقراطية ، أرجو أن تكون الخطوة الأولى فى طريق التكامل الاقتصادى العربى ، أو الأساس المتين للبعث التنموى العربى الحديث. ومن المعروف أن قوانين الجامعة العربية تحوى مبادىء نهضتها وتقدمها ، ولكن الشئون السياسية استأثرت بالاهتمام ، ولما نشبت الخلافات أصبحت من دواعى التمزق والتفرق ، وصار مجرد الإشارة إلى الهموم الحضارية مثارًا للتهكم والسخرية ، وتناسينا فى حومة الغضب أنَّ عدونا الأول هو التخلف فى سباق العصر .

والبدء بالتعاون الاقتصادى بين الدول الأربع يدل دلالة قاطعة على أن التأجيل ـ انتظارًا للتكامل الكامل ـ لم يعد محتملاً ، وأن البدء بالجزء خيرٌ من انتظارٍ قد يطول ، وسيكون نجاحه دعوة عملية مفتوحة لكل متردد أو غافل . وهو أيضًا دليل على اليقظة وإنْ جاء متأخرًا ، لأهمية القاعدة الاقتصادية ، وقيمة الحضارة فى زمن أصبح يُقاس تقدم الإنسان فيه بِقِيمةِ تَحَضُّرِهِ وعطائه ومشاركته فى النمو الإنسانى العام .

بل إنه زمن التجمعات والتكتلات الحضارية بديلاً عن التجمعات والتكتلات السياسية والعسكرية التى عُرِفَ بها التعامل بين الدول فى الماضى القريب والبعيد ، وهى تكتلات تقتضى شروطًا أكثر من مجرد القوة وحدها ، تقتضى تفوقاً فى العالم والإنتاج ، وتوسعًا فى الثقافة واحترام حقوق الإنسان . حقًّا إنَّ كل دولة عربية تمارس تنمية إقليمية بدرجات متفاوتة من النجاح ، ولكن التعاون يفتح لها آفاقاً جديدة للعمل ، وحلولاً جديدة للمشكلات ، ويمدها بقوة متجددة على المستويين المعنوى والمادى . أتمنى أن أرى مع كل طلوع شمس نورًا حضاريًّا مقبلاً .

(١٩٨٩ / ٣ / ٩)

# الوحدة الثقافية

مهما تفرق العرب أو اختلفوا فثمة وحدة بينهم لا تغيب ، هى الثقافة . . قد تتعرض علاقاتها للضعف ، أو التوقف المؤقت ، أو المقاطعة ، ولكنها لا تغيب مطلقاً ، وتظل مطلباً روحيًّا مُلِحًّا ، يقيم لنفسه دولة فوق الدول ، وصداقة بين العَداوَات ، وملتقى بريئاً طاهرًا تضحك فيه الشعوب من نزوات حكوماتها . من أجل ذلك حافظت على درجات متفاوتة من التواصل والتفاعل ، حتى فى عهود الاستعمار والشقاق والمنافسات الخرقاء ، ثم هَيْمَنَت قوتها مخترقةً السدود بفضل وسائل الإعلام الحديثة . ولكن آنَ لنا أَلَّا نترك سريانها للرحلات والمعارض والمهرجانات والتهريب . لابد من إعداد وتنظيم ، وتحويل الاقتراحات المكدسة فى سجلات الجامعة العربية إلى حقائق فكرية وسلوكية .

نحن على أبواب ثورة تربوية للانتقال من عصر إلى عصر ، وتعد عقولنا وتقاليدنا لمستقبل جديد حافل بالصعوبات والمغامرات ، فعلينا أن نتبادل الخبرات والآراء لنهتدى إلى أُسس جديدة لبعث العقول والأرواح ، وعلينا أن نتفق على سياسة طويلة للتبادل الثقافى ، والتعاون المثمر فى مجال الإذاعة المسموعة والمرئية ، ومثل ذلك فى الأهمية أن ينعقد مؤتمر من وزراء الثقافة والاقتصاد لإزالة العوائق التى تعترض تدفق الكتاب فى السوق العربية ، ولتحمى الفكر من المزورين وقطاع الطرق .

بل لعله قد آن الأوان لإنشاء شركة توزيع على المستوى العربى لتتيح للكتاب والأشرطة الوصول إلى كل مكان يُقْرَأ ويُسمع أو يُرَى . وأضيف إلى ذلك اقتراحًا بإنشاء مؤسسة على المستوى العربى للترجمة من وإلى العربية ، منتفعة بكل الوسائل الحديثة لخلق نهضة تربطنا بركاب العالم المنطلق بسرعة الصاروخ .

الوحدة الثقافية بالإضافة إلى الوحدة الاقتصادية هما ممَّا نُنادِى به منذ سنوات . وهما الأساس المكين لبعث هذه المنطقة من جديد لتمارس دورها الحضارى المأمول .

(١٦ / ٣ / ١٩٨٩)

على جامعة الدول العربية أن تعيد النظر فى نشاطها على ضوء العصر، لا أبغى من وراء ذلك تغييرًا فى رسالتها التقليدية ، أو تعديلاً إضافيًّا فى ميثاقها ، ولكن لتتصدى بكل هِمَّة لاقتحام التحديات ، وحل المشكلات ، ومحو الخلافات ، وتوثيق التعاون والتآخى والسلام . وعليها أن تبذل نشاطاً مضاعفاً فيما يتعلق بحاضر حضارتنا ومستقبلها :

١ ـ عليها أن تنسق بين دولها فيما يحقق ثورة شاملة فى التربية والتعليم، وإعادة خَلْق العقل العربى ليواجه المستقبل بجدارة إنسانية لائقة .

٢ ـ عليها أن تقترح خطة ثقافية عامة لتعريف الفرد بذاته وعصره ، وإعادة الروح إلى وعيه ، متعاونة فى ذلك مع مراكز التعليم والإعلام .

٣ ـ عليها أن تقترح التشريعات الواجبة لحفظ حقوق الفكر والإبداع، وإيجاد السوق المشتركة للكتاب العربى ، والقضاء على المزورين واللصوص .

٤ ـ عليها أن تعيد النظر فى الخطة المتكاملة للاقتصاد العربى ، مستهدفة الاعتماد على الذات ، وتوفير الغذاء، وتشغيل الأجيال الجديدة .*

٥ ـ عليها أن تعمل على إقامة جهاز ضخم للبحث العلمى ، وتوفر له احتياجاته من المال والنظام والكوادر البشرية .

هذه إشارة إلى تَوَجُّهٍ ضرورى غير قابل للتأجيل ، يجعل من الجامعة العربية مركز إشعاع للعلم والثقافة والرخاء ، ودار الحكمة التى ينتمى إليها كل عربى متطلع إلى الحياة والنور .

(٦ / ٧ / ١٩٨٩)

لا يملك أيُّ نظامٍ للحُكم قُوَى سحرية لحل المشكلات وتحقيق العدل والتقدم والرخاء . العبرة فى النهاية بالرجال ، والكفاءة والنزاهة والاستنارة ، ولايعنى ذلك أن جميع الأنظمة تتساوى كإمكانيات مطروحة للعمل والاختيار . . ستظل الديمقراطية متفوقة بما تهيئه من حرية وكرامة ورقابة واحترام لحقوق الإنسان ، وربما يحظَى فيها الفرد والشعب من المشاركة فى العمل ، والتعاون فى حمل المسئولية . فلا وجه لأن نعتبر الحُكم العسكرى السودانى هزيمة للديمقراطية ، فكم من حُكم عسكرى قد مُنِىَ بالفشل ، وكم من حُكم شمولى قد أَوْدَى ببلاده إلى الخراب والوحشية .

وكان المأمول أن ينجح الحُكم الديمقراطى السودانى ليهدى إلى العرب مثالاً طيباً فى الممارسة ، كما أهدى إليهم مثالاً كريماً بثورته على الظلم والاستبداد ، ولكن ساءت الأحوال برغم أنه تهيأ لها أطيب مناخ صحى للعمل . غلب الفساد والعجز والحزبية العمياء والقبلية ، وتدهورت الأمور فى الداخل والخارج . وما نملك اليوم إلاَّ أن نتمنى للحُكام الجدد التوفيق والفلاح حتى لا يُهْدَر زمنٌ آخر من عمر السودان

الغالى . كما نرجو لهم النجاة من مزالق حُكم الفرد ، وأن يعتبروا أنفسهم حقًّا فرقَة إنقاذ تستهدف العلاج الحاسم لكل داء مستفحل كى تُسَلِّمَ الأمرَ فى النهاية إلى الشعب صاحب الحق الشرعى الأول فى حكم نفسه .

(١٢ / ٧ / ١٩٨٩)

# ٦ أكتوبر

عيد البعث والسلام . كان نصرًا ، ولكنه لم يكن نصرًا على عَدُوٍّ بقدر ما كان نصرًا على اليأس والكآبة والعبث والعدمية . انبعثت فيه الروح العربية متألقة متفتحة كما عهدها التاريخ فى الزمان الأول ، فتوجهت من منطلق تخطيط حكيم نحو واقعية رصينة تتصدى للمشاكل وتنشد السلام . . وقد اعتمدت تلك الوثبة التاريخية الكبرى على أساسين لا غِنَى عنهما معًا لأى وثبة حقيقية فى شعبنا ، هما : الإيمان والعلم . إيمان بالله تَخَطَّى بنا عقبات مادية ونفسية عنيدة ، وبَارَكَ خُطَى جنودنا فى ميادين القتال ومواجهة الموت ، وتنظيم دقيق ، وتدريب رائع ، واستيعاب كامل لأحدث وسائل القتال وأشدها تعقيدًا واقتضاءً للمهارة والذكاء . وهكذا تهيأ لنا فى لحظة تاريخية قيادة جمعت بين الحكمة والشجاعة والوطنية ، وجنود تَحَلَّوْا بالإيمان والبسالة والفدائية ، فانتشلوا مصر من مستنقع العار والهزيمة والقنوط ، وأنزلوها بدار العزة والكرامة ، وفتحوا لها أبواب السلام والاستقرار والحضارة .

كان ذلك جديرًا بأن يمهد للوطن سبيلاً لنهضة شاملة ، روحية ومادية ، وكم فرح المخلصون واستبشروا خيرًا ، فآمنوا بأن ليل الأحزان سيسفر عن صُبح مشرق بهيج . ولكنَّ الانتهازيين أثبتوا أنهم أشد وطأة وقسوة على هذا الوطن من أَعْدَى أعدائه . تربصوا كالغربان ، ثم

انْقَضُّوا من منافذ الانفتاح ، هازئين بتضحيات الشهداء ، وثكل الأمهات ، يجمعون المال الحرام ويهربونه ويعيثون فى الأرض الفساد، حتى أغرقوا البلاد فى الديون والمخدرات والانحلال والتطرف والعنف .

تذكر يوم السادس من أكتوبر وقُلْ : إننا سَنُصَفِّى الأوغادَ كما صَفَّيْنَا يوم الخامس من يونية ، وسنطهر البلاد من السم والأنانية والجشع. حسبنا أن نتمسك بالأساسين اللذين قام عليهما النصر ، وأى نصر ، وهما : الإيمان والعلم .

(١٩٨٩ / ١٠ / ٥)